باب قول الله تعالى:
﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

لما ذكر الشيخ-رحمه الله- باب الخوف وتضمن الباب الكلام عن الرجاء كما تقدم معنا، وأعقبه بباب التوكل الذي يضعف في القلب الخوف من غير الله-سبحانه وتعالى- ويقوي تعلق القلب بالله-عز وجل- وبما عند الله سبحانه وتعالى.أعقب ذلك بهذا الباب وهذا الباب متعلق بآفتين قلبيتين متقابلتين هما آفتان تقطعان صاحبهما عن الخير .

أما إحدى الآفتين: فسببها الغلو في الرجاء؛ يغلو العبد في الرجاء وفي النظر إلى سعة رحمة الله-عز وجل- حتى يقع في هذه الآفة ألا وهي: الأمن من مكر الله فيلحظ المخذول سعة رحمة الله وعظم مغفرة الله-عز وجل- فلا يقوده ذلك إلى الشكر وحسن الذكر وإنما يقوده إلى التساهل في الواجبات والجرأة على المحرمات فيأمن مكر الله فلا يفعل الواجب متكئا ومعتمدا على سعة رحمة الله وعلى أن الله غفور رحيم

وأما الآفة الثانية: فسببها التنطع في الخوف حتى يقنط من رحمة الله ويأس من روح الله-عز وجل- ويقعد عن الخيرات ليأسه من رحمة الله فإذا يأس من رحمة الله لا يرده ذلك عن ذنب كذلك الرجل الذي سأل راهبا وقد قتل تسع وتسعين نفسا هل له من توبة؟! فقال: لا أرى لك من توبة فيأس من رحمة الله فماذا فعل ؟! قتل الراهب.ولا يفعل الواجبات لأنه يأس من رحمة الله-عز وجل- إذا هاتان الآفتان- يا إخوة- تجتمعان في أمر : وهو أن مآلاهما واحد ألا وهو الانقطاع عن الخيرات بالجرأة على المحرمات وبترك الواجبات.ويختلفان في سببهما:

أما الأمن من مكر الله فسببه :**التوسع في الرجاء**. وأما اليأس من رحمة الله: فسببه **التنطع في الخوف**.

والأمن من مكر الله ينقسم من حيث حكمه إلى قسمين :

القسم الأول :أمن من مكر الله هو **كفر** يخرج العبد من الإسلام، وينقله عن ملة الإسلام بالكلية وذلك إذا انعدم الخوف في القلب بالكلية؛ لا يوجد خوف في القلب فهذا كفر بالله؛لأنه تكذيب لصريح القرآن، وصريح السنة مما لا يحتمل تأويلاً. ولأنه ذم لله عز وجل بأعظم الذم.

و **القسم الثاني** :هو كبيرة من الكبائر من الذنوب؛ يعني لا ينقل من ملة الإسلام، ولا يخرج من ملة الإسلام لكنه كبيرة من كبائر الذنوب، وذلك إذا وجد أصل الخوف.

فأصل الخوف من الله موجود في القلب؛ لكن يتوسع هذا المخذول في الرجاء حتى يترك الواجبات ويفعل المحرمات فهذه كبيرة من كبائر الذنوب

وأما **اليأس من رحمة الله:** أو اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله فينقسم من حيث حقيقته إلى قسمين:

ينقسم أولا: **من جهة حقيقته وذاته** : إلى قسمين:

القسم الأول:

قنوط من رحمة الله، في **الأمور الأخروية** يعني يقنط من رحمة الله فيما يتعلق بالآخرة؛ كأن يقنط من رحمة الله وأن يقنط من مغفرة الله فهذا قنوط من رحمة الله-عز وجل- فيما يتعلق بأمور الآخرة.

وهذا القسم يتنوع إلى نوعين:

- **النوع الأول:** قنوط من رحمة الله فيما يتعلق بأمور الآخرة(يتعلق بالإنسان نفسنجج

- **النوع الثاني** :قنوط من رحمة الله فيما يتعلق بالآخرة يتعلق بغير الإنسان؛ يتعلق بإنسان آخر غير الإنسان وسأبين لكم هذا.

أما **النوع الأول** فمعناه أن الإنسان يقنط من رحمة الله لنفسه ويقنط من مغفرة الله لنفسه وهو يتفرع إلى فرعين:

-الفرع الأول: أن يقنط من رحمة الله ومن قبول الله-عز وجل- للتوبة سواء عمم أو خصص.

عمم: فيقول أنا مذنب والله لا يغفر للمذنبين، الله لا يقبل التوبة من المذنب،أو خصص: فقال أنا لا يقبل الله توبتي ولا يغفر الله لي هنا قنط من رحمة الله ومن قبول الله للتوبة

-الفرع الثاني : أن يقنط من وقوع التوبة منه، وإن قال إن الله يغفر الذنب ويقبل توبة التائب؛ لكن أنا لا يقبل الله توبتي،لكن أنا لا تقع مني التوبة، أنا لا أصلح لأن أتوب أو لا يقبل الله توبتي، لا أنا لا أصلح أن أتوب، أنا لن أتوب فقنط من جهة وقوع التوبة منه مع اعتقاده أن من تاب يقبل الله توبته ويغفر الله له؛ لكن يقول أنا ما أصلح، أنا لا أتوب، أنا لن أتوب، فهذا قنط من رحمة الله من هذه الجهة.

فمن الناس من يقنط من رحمة الله من الجهة الأولى، ومن الناس من يقنط من رحمة الله من الجهة الثانية وحيث ما ظفر الشيطان بمطلوبه فهو المقصود عنده.

وأما القنوط من رحمة الله لغير الإنسان فهذا قد يقع فيه بعض الناس وهم لا يشعرون وهو **اعتقاد أن الله لا يغفر لفلان** مع إسلامه، أو لا يتوب الله على فلان فيقول الله-عز وجل- لا يقبل لذاك المسرف على نفسه بالذنوب لن يغفر الله ذنبه، ذاك الذي وقعت له...وقعت له... وقعت له...لكنه لازال على ذنوبه لا يرحمه الله لا يغفر الله له لن تدخل الجنة يقول لأخيه المسلم المذنب أنت لن تدخل الجنة، فهذا قنوط من رحمة الله لغير الإنسان لم يقنط من رحمة الله من جهة نفسه لكن قنط من جهة رحمة الله لغيره من المسلمين.

فهذا أيضا داخلا في القنوط من رحمة الله-سبحانه وتعالى- هذا القسم الأول.

إذن قلنا القسم الأول من أقسام القنوط من رحمة الله: **القنوط من رحمة الله في أمور الآخرة.**

وقلنا هذا القسم يتنوع إلى نوعين:

النوع الأول قنوط من رحمة الله بالنسبة للإنسان نفسه.

والنوع الثاني قنوط من رحمة الله بالنسبة لغير الإنسان؛ لإنسان آخر.

وقلنا إن القنوط من رحمة الله للإنسان نفسه يتفرع إلى فرعين:

الفرع الأول قنوط من حصول التوبة والمغفرة، من الله -عز وجل- للعبد

والنوع الثاني قنوط من وقوع التوبة من العبد

وأما القسم الثاني : وهو القنوط من رحمة الله فيما يتعلق **بالدنيا؛** فيما يتعلق بالأمور التي تتعلق في الدنيا كالقنوط من فرج الله، يكون الإنسان في كربه ويقنط من فرج الله، مع أن فرج الله قريب أقرب إليه من النفس؛ ولكن لله حكمة يقع الفرج متى شاء الله-سبحانه وتعالى- لكنه يقنط من فرجه قد يقوده ذلك -والعياذ بالله- إلى أن يقتل نفسه فهذا قنوط أيضا من رحمة الله ويأس من روح الله-عز وجل-

وابتدأ الشيخ -رحمه الله-عز وجل بهذه الآية التي سمعناها في ترجمة الباب.

﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾

وهذه الآية متعلقة بالآفة الأولى: وهي الأمن من مكر الله :

وهذه الآية في أهل القرى الذين أنعم الله -عز وجل- عليهم بالنعم فلم يشكروها ولم يذكروا الله بها ولم يوحدوا الله -عز وجل بل ظنوا أنهم قد أعطوا هذه النعم لقوتهم أو لذكائهم أو لقدرتهم أو لعظم مكانتهم عند الله.فقال الله فيهم ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾ فهم لعظم أمنهم من مكر الله ينامون ملئ عيونهم مع شركهم بالله -سبحانه وتعالى- فكأنهم أمنوا أن يأتيهم عذاب الله أمنا مطلقا. أن يأتيهم عذاب الله بالليل وهم نائمون، ولذلك ناموا مع طغيانهم ولو كانوا يخافون عذاب الله لما

ناموا مع طغيانهم فهم أمنوا مكر الله أمنا عظيما مع أنهم يعلمون أن عذاب الله قد أصاب بعض القرى بياتا وهم نائمون كما حصل لقوم لوط.

ثم قال الله ﴿**أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ أي أنهم لعظم أمنهم من مكر الله يلعبون في نهارهم ويلهون في دنياهم فكأنهم أمنوا أن يأتيهم عذاب الله وانتقامه نهارا كما وقع لبعض القرى قبلهم.

ثم جاء الحكم العام:﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ**﴾ أمنوا مكر الله باستدراجهم بالنعم مع عدم شكرها وعدم توحيدهم لله-عز وجل- ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ :الذين هم في غاية الخسارة ولا يأمنوا أحد مكر الله إلا خسر. إما أن يخسر دينه بالكلية وذلك إذا ذهب الخوف من قلبه بالكلية وإما أن يخسر بعض دينه وذلك إذا بقي معه أصل الخوف ويخسر أيضا دنياه فالخسران ملازم لمن أمن مكر الله فهم في غاية الخسارة.فإن قال قائل قد عرفنا أنواع الأمن من مكر الله. فما هو المكر؟ ما معنى المكر؟

قلنا إن **المكر** :هو الإيقاع بالخصم بطريقة خفية، وإن شئت قلت هو :التوصل إلى الإيقاع بالخصم وهو لا يشعر والمكر قد يكون مذموما وقد يكون محمودا ممدوحا.المكر من جهة أصله قد يكون مذموما قبيحا.

وقد يكون ممدوحا محمودا. فالمكر المذموم هو المكر بمن لا يستحق أن يمكر به كالمكر بالغافل من غير تنبيهه. يأتي مجرم من الناس فيمكر بإنسان غافل في غفلته حتى يقعه في أمر يكرهه، وكمكر الكفار بالمؤمنين في كل زمان ومكان فإنه مكر مذموم؛ لأنه مكر ظالم بمظلوم، ومكر باغ بمن لا يستحق .

إذن متى يكون المكر مذموما؟!: إذا كان مكر بمن لا يستحق فهو من باب الظلم ومن باب البغي.

وأما **المحمود الممدوح** : فهو المكر بمن يستحق.

كمن أنعم الله عز وجل عليه بالنعم ودله على وجوب شكرها وعلمه كيف يشكرها فلم يشكر.

بل كفر بنعم الله عز وجل فيمكر الله به بزيادة النعم عليه حتى يستدرجه حتى إذا أخذه أخذه أخذ عزيز مقتدر فلم يفلته فهذا مكر ممدوح محمود؛ لأن هذا المكر قد يكون في مقابلة مكر أهل الباطل؛ كمر الكفار بالمسلمين فالكفار يمكرون بالمسلمين والله يمكر بالكفارفهذا مكر محمود فالله ناصر عباده ويمكر بمن يمكر بعباده الموحدين، كما قال الله عزوجل ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ يمكر أهل الشرك بالمؤمنين الموحدين ويمكر الله بالمشركين. وكما قال الله-عز وجل- ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وقد يكون مكر الله بمن يستحق أن يمكر به من جهة أن الله قد أنعم عليه وبين له وذكره بمذكرات بالشكر فلم يشكر بل قد ألح بطغيانه وكفر بنعم الله – عز وجل- وهذا المكر كما قلنا يكون ممدوحا محمودا لأنه عدل وحكمة.

فهذا المكر لا يكون إلا من عليم حكيم ويكون عن قدرة فهو مدحا.

والله -عز وجل- لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

فهذه الآية دلت على أن لله مكرا والمكر يا إخوة صفة فعلية لا تضاف إلى الله على الإطلاق ولا تنفى عن الله عز وجل بإطلاق لأن كما قلنا المكر منه ما هو ممدوح ومنه ما هو مذموم فتكون هذه الصفة مقيدة فتضاف إلى الله حيث دل الكلام على أن المكر ممدوح وتنفى عن الله حيث دل الكلام على أن المكر مذموم ولا يشتق من هذه الصفة اسم فلا يسم الله بالماكر لأن هذا الفعل كما سمعنا منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم هذه الآية العظيمة التى بدأ بها الشيخ دلتنا على أمور:

الأمر الأول :

أن لله عز وجل مكرا وهذا المكر في غاية العدل وفي غاية الحكمة وفي غاية القوة وفي غاية القدرة.

كما دلت الآية على أن المكر من أمن الله حرام؛ لأن الله-عز وجل- قال ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ**﴾ وهذا استفهام انكاري وهذا يدل على الحرمة. وأيضا لأن الله-عز وجل- قال ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾وهذا أيضا يدل على حرمة الأمن من مكر الله. بل يدل على أن الأمن من مكر الله كبيرة من كبائر الذنوب إن لم يصل إلى الكفر -على ما بيناه-لأن الله غلظ هنا فيه فقال ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ ودلت هذه الآية بمفهومها على أن المؤمنين المفلحين لا يأمنون مكر الله؛ لأن الله حصر الأمن من مكره في الخاسرين، فدل ذلك على أن المفلحين المؤمنين لا يأمنون مكر الله -سبحانه وتعالى-

وفي هذه الآية يا-أحبه- **ملمح عظيم** ينبغي أن يلمحه المؤمن وهو **أن المؤمن لا يأمن مكر الله** بل يكون خائف من الله كما تقدم معنا في باب الخوف وفي نفس الوقت لا يخاف مكر الماكرين من الكافرين وأهل الباطل لا يخاف منهم خوفا يقوده إلى القعود عن الحق، أو التخاذل عن الحق وإنما يعلم ويوقن أن أهل الباطل يمكرون بأهل الحق وأن الكفار يمكرون بأهل الإسلام ويحذر من مكرهم حذر الذكي الزكي، ويعلم أن المكر كله لله-سبحانه وتعالى-

كما قال الله عز وجل (**وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ**) وهذا وعيد للكفار الذين يمكرون بالمؤمنين.

إذن من هذه الآية تعلم -يا مؤمن- أن الكفار وإن مكروا بالمؤمنين إلا أن مكرهم في خسار.

فلا يخاف المؤمنون مكر الكفار ومكر أهل الباطل خوفا يقعدهم عن الحق يأتي بعض الناس مثلا إلى طالب علم يتكلم عن الخوارج ويحذر منهم ويبين صفاتهم ويفضحهم في هذا العصر ويبين خوارج العصر ويقول له يا-أخي- ترى هؤلاء أهل مكر يمكرون بك اترك هذا الأمر لا تتكلم فيهم ربما يقتلونك أهل غدر أهل

مكر المؤمن يعلم أنهم أهل مكر ويعلم أن من أعظم صفاتهم أنهم أهل غدر لكنه يوقن أن المكر لله جميعا وأن الله إن شاء حِفظه حفظه وإن شاء إكرامه قدمه.

والمكر يعود على أهل الباطل بعض الناس يأتي للمؤمنين ويقول ترى الكفار أهل قوة وأهل مكر وأهل كذا ينبغي أن نترك شيء من ديننا من أجل الكفار حتى ما يغضب علينا الكفار نذهب نصلي ما عليه ما يغضب الكفار... والكفار يغضبون من الصلاة لكن المخذلون هكذا يقولون. نترك الأمور التي تغضب الكفار. المؤمن يعلم أن الكفار يمكرون ولكنه يعلم أنهم يخسرون ويعلم أن المكر لله جميعا.

وقوله: ﴿ وَمَنْ يَقْنَط مِنْ رَحْمَة رَبّه إِلَّا الضَّالُّونَ﴾

هذه الآية فيها الكلام عن الآفة الثانية ألا وهي القنوط من رحمة الله.

وهذه الآية من كلام إبراهيم عليه السلام للملائكة الذين جاءوه في صورة بشر، فبشروه بغلام عليم وقد كان كبيرا في السن وكانت امرأته عجوزا، فكانت الأسباب غير قائمة لأن يلد رجل طاعن في السن وامرأته عجوز وهؤلاء على صورة بشر، بشَّرُوه بغلام عليم، فقال لهم أبشرتموني بهذا الغلام وأنا قد مسني الكبر فبما تبشرون؟! تبشرون شيخا هرما بأنه يولد له غلام!!قالوا: بشرناك بالحق.ففهم هنا؛ ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ فهم أنها بشارة من الله-عز وجل- فقال عليه السلام: ﴿وَمَنْ يَقْنَط مِنْ رَحْمَة رَبّه إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ فلا يقنط من رحمة الله مهتدي، وإنما يقنط من رحمة ربه الضال -والعياذ بالله- الضال عن الهداية إلى الواجب عليه و هو أن لا يقنط من رحمة الله -عز وجل- والضال عن عظم رحمة الله وقرب فرج الله -سبحانه وتعالى- فهو الضال على ما وجب عليه وهو عدم القنوط، وهو ضال عن سعة رحمة الله، ولو أدرك العبد سعة رحمة الله لما قنط من رحمة الله أبدا، وكما قلنا سابقا القنوط من رحمة الله سببه التنطع في الخوف، وأيضا من أسبابه ضعف الإيمان بأسماء الله وصفاته -سبحانه وتعالى- لا سيما ما يتعلق بالقدرة والرحمة، فإن القنوط من فرج الله في أمور الدنيا من أسبابه ضعف الإيمان بأن الله على كل شيء قدير.

والقنوط من رحمة الله في الآخرة سببه ضعف الإيمان بسعة رحمة الله -سبحانه وتعالى- وقد دلت هذه الآية الشريفة على حرمة القنوط من رحمة الله -عز وجل- وعلى وجوب رجاء ما عند الله رجاءً مشوبا بخوف -كما تقدم معنا- عندما تكلمنا عن الخوف.

ومهما كان حال العبد مع إسلامه فإنه لا يجوز له أن يقنط من رحمة الله وأن ييأس من روح الله، لا من جهة تخلصه من الذنب ولا من جهة تخلصه من أثر الذنب، بل المؤمن يرجوا الله أن يتخلص من ذنبه، ويعمل ويرجو الله أن يتخلص من أثر ذنبه ويعمل.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾

قل ياعبادي انظر كيف هذا الرجاء!! ما قال الله قل يامذنبين يا مسرفين، قل ياعبادي؛ فالعبد وإن أسرف على نفسه بالذنب فهو عبد لله، لا تقنطوا مع ذنوبكم من رحمة الله، فكيف بمن خفت ذنوبه وقلت ذنوبه؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ :أي لمن تاب فلا تقنط يا عبدالله من تركك للذنب فهناك من عباد الله من يتوب، وأنت عبد لله، ولا تقنط من زوال أثر الذنب فإن الله يغفر الذنوب جميعا.

هب أنك أسرفت على نفسك بكل ذنب، ثم وقفت لحظة فندمت على ما مضى وأقلعت عن كل ذنب وعزمت أن لا ترجع إلى الذنوب وإن كان هناك حق لآدمي رددته أو استحللت منه؛ تهدم كل هذه الذنوب ما كأنك فعلت يوما ذنبا قط، بل يبدل الله سيئاتك حسنات، في الدنيا بأن يعينك على الطاعات وقت ما كنت تفعل المعاصي، وفي الاخرة بأن يأمر الله –عز وجل– ملائكته أن يجعلوا مكان كل ذنب حسنة، فكيف تقنط من رحمة الله؟!! هذه السعة العظيمة في هذه الآية الكريمة التي سماها السلف أرجى آية، أرجى آية في القرآن فالمؤمن لا ييأس من رحمة الله مع العمل.

يا –إخوة– رجاء المؤمن فيه صفتان:

الصفة الاولى: أنه مشوب بخوف وهذا الخوف هو السور الحاجز من الوقوع في اليأس من رحمة الله والأمن من مكر الله.

والصفة الثانية: أنه مع العمل ما يأتي يقول الله غفور رحيم، ويترك الواجبات يقول الله غفور رحيم ويفعل الواجبات، ما يقول يا –أخي– رحمة الله وسعت كل شيء وأنا شيء، ويستمر في المعاصي لا !!

يعمل على ترك المعاصي ويرجوا ماعند الله.

إذن رجاء المؤمن فيه صفتين دائما؛ أنه مشوب بالخوف، وأنه مقرون بالعمل.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، فقال:« الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله».

هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا إلى النبي ﷺ، رواه البزار، والطبراني، وغيرهما.

وتكلم بعض أهل العلم في إسناده: وقالوا في إسناده نظر، لكن حكم عليه جمع من أهل العلم بأنه حسن كالعيني. وبين الإمام الألباني رحمه الله أنه حسن، وأن له شواهد تقويه، وذكر هذا الحديث في السلسلة الصحيحة.

كما أنه ورد موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما: في كتب التفسير، وفي بعض كتب الآثار، ككتاب شعب الإيمان للبيهقي. والموقوف على ابن عباس رضي الله عنهما: صحيح. والمرفوع إلى رسول الله ﷺ: حسن.

قال: (**إن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر**) :

وبينت لكم في دروس سابقة أن **الكبيرة** : ما نهى الله عز وجل عنه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ نهيا جازما مع التغليظ. يعني ما نهى الله عز وجل عنه نهيا جازما هذا هو المحرم،فإذا كان مع النهي تغليظ فهذه هي الكبيرة : فإذا خص الذنب بتغليظ فإنه كبيرة :كوصف فاعله بأنه خاسر، ووصف فاعله بأنه ليس منا، وكلعن فاعله، وكالتوعد عليه بخصوصه بالنار، أو بالخزي والندامة يوم القيامة، فهذه هي الكبائر.

والكبائر: أغلظ الذنوب، ولذلك لا تغفر إلا بتوبة، أو برحمة الله، إن لم تكن الشرك الأكبر.

الكبائر: لا تغفر إلا بتوبة، ومغفرتها بالتوبة شاملة لكل الكبائر حتى الشرك، من تاب من الشرك غفر الله له. أو برحمة الله وسعة عفوه، إن لم تكن شركا أكبر.يدخل في عفو الله وسعة رحمة الله بسبب شفاعة الشافعين، وغير ذلك.

(**سئل النبي ﷺ عن الكبائر فقال: الشرك بالله**) :والشرك بالله أكبر الكبائر، وقد تكلمنا عنه مراراً.

(**واليأس من روح الله**) :وسيأتي إن شاء الله الكلام عن روح الله ورحمة الله في أثر ابن مسعود.

(**والأمن من مكر الله**).

وهذا الحديث فائدته : في بيان أن اليأس من روح الله والأمن من مكر الله من كبائر الذنوب.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:أكبر الكبائر الاشراك بالله، والامن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق.

نعم ؛ هذا الاثر عن ابن مسعود رضي الله عنه رواه معمر في الجامع وعبد الرزاق وابن جرير في التفسير، واسناده إلى ابن مسعود صحيح يقينا كما قال ابن كثير اسناده إلى ابن مسعود صحيح بالجزم، فهو مجزوم بصحته إلى ابن مسعود رضي الله عنه قال " أكبر الكبائر الاشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله" والقنوط من رحمة الله من كبائر الذنوب، وقد جاء في الحديث (أن القَنوط من رحمة الله لا يُسئل عنه) لعظم ذنبه؛ والحديث رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني أعني (أن القنوط من رحمة الله لا يُسئل عنه). وقد تقدم الكلام في معنى القنوط من رحمة الله .

"واليأس من روح الله": واليأس من روح الله من أكبر الكبائر كما قال يعقوب لبنيه ﴿ **إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ وقد بينا لكم أن اليأس من روح الله قد يكون كفرا وقد يكون كبيرة من الكبائر. طيب هنا تلحظون شيئا في كلام ابن مسعود رضي الله عنه وهو أنه قال: (والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله) فذكرهما معا، فهنا قال بعض أهل العلم هما مترادفان لا فرق بينهما، فيكون ذكر الثاني من باب التأكيد بالتنويع، يعني من باب تأكيد الاول بتنويع العبارة، كما نذكر في الشرح أحيانا نشرح الجملة أو الكلمة بجملة ثم نذكر جملة ثانية نشرح بها العبارة من باب تنويع المعنى في العبارة وإلا فالمعنى واحد؛ فقال بعض أهل العلم بل كثير من أهل العلم قالوا هما بمعنى واحد ،فيكون ذكر ابن مسعود رضي الله عنه لهما معا من باب التأكيد بتنويع العبارة، وقال بعض أهل العلم بل بينهما فرق والفرق أن القنوط من رحمة الله هو أشد اليأس من روح الله سبحانه وتعالى، لماذا؟ قالوا لأن القنوط من رحمة الله هو اليأس من روح الله مع الجزم والعزم بعدم وقوع رحمة الله سبحانه وتعالى، فالقنوط من رحمة الله هو أشر اليأس من روح الله؛ وعلى هذا ياإخوة يكون هذا في كلام ابن مسعود رضي الله عنه من باب عطف العام على الخاص لأنه قال :**"والقنوط من رحمة الله"** وهذا خاص.ثم قال:**"واليأس من روح الله"** فعطف العام على الخاص

وقال بعض أهل العلم بينهما فرق والفرق أن اليأس من روح الله إذا كان في القلب ولم يثمر عملا، وأن القنوط من رحمة الله إذا كان في القلب وأثمر عملا ظهر على الجوارح، إذن القنوط من رحمة الله أشد من اليأس من روح الله، لماذا؟ لان اليأس من روح الله في القلب فقط، أما القنوط من رحمة الله فهو في القلب ويثمر عملا ويظهر العمل على الجوارح.

وقال بعض أهل العلم عكس الاول قالوا :إن اليأس أشر من القنوط قلنا لهم لماذا؟ قالوا لأن الله قال في اليأس﴿ **إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾في اليأس من روح الله؛ وقال في القنوط ﴿**قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾قالوا والكفر أشد من الضلال لكن هذا محل نظر.

وقال بعض أهل العلم القنوط أعم من اليأس، كيف؟ قالوا لأن القنوط علق برحمة الله؛ القنوط من رحمة الله، ورحمة الله عز وجل تشمل حصول النعم واندفاع النقم، حصول النعم من رحمة الله واندفاع النقم من رحمة الله، أما اليأس فعلق بروح الله، وروح الله في الغالب يطلق على اندفاع النقم، إذن الرحمة أوسع من الروح لأن الرحمة متعلقة بحصول النعم واندفاع النقم، أما الروح ففي الغالب الاستعمال أنه يتعلق باندفاع النقم، إذن القنوط أعم من اليأس هذا ما ذكره أهل العلم في هذا الامر أعني الفرق بين القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله والاصل الترادف، ولو قلنا قاعدة أهل العلم في الايمان والاسلام إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا لكان صوابا، فإذا قلنا القنوط من رحمة الله وسكتنا وقلنا مرة أخرى اليأس من روح الله فهما بمعنى واحد،

وإذا ذكرناهما معا كما ذكر إبن مسعود رضي الله عنه يكون للقنوط معنى ولليأس معنى آخر على ما ذكرناه من الفروق التي ذكرها أهل العلم.

فيه مسائل:

الأولى : تفسير آية الأعراف

﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾و قد فسرناها

الثانية: تفسير آية الحجر

وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ وقد فسرناها

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله

أنه خاسر و هذا وعيد بخسرانه و أن الامن من مكر الله من الكبائر و أهل الكبائر متوعدون بالنار.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط

أنه ضال و أن القنوط من رحمة الله من الكبائر و أهل الكبائر متوعدون بالنار .

بهذا نكون ختمنا هذا الباب العظيم الذي تتعلق به منافع كثيرة ،و أرجو أن نكون قد فهمنا فيه على وجه التأصيل لأن كثيرا من الناس لا يفهموا هذه المسائل على وجه التأصيل و التفصيل الصحيح.

فنسأل الله أن يفقهنا في دينه، و أن يعلمنا ،و أن يزيدنا علما، و أن ينفعنا بالعلم، و أن يجعل العلم حجة لنا لا علينا، و أن يجعل ما نبذل فيه له سبحانه ،و أن لا يجعل لأحد من الناس نصيبا في قصدنا في تحصيل هذا العلم و في بذله ،و أسأل الله عز و جل أن يجعلنا جميعا من المعظمين للتوحيد و أن يشرفنا بالحرص على نشره و تعليمه و تقريبه للناس بالأدلة الواضحة و بالمعاني البينة و بالأساليب المقنعة.

قبل أن نشرع في الباب الذي سنشرحه اليوم : أشير إلى أن بعض الأخوة ذكروا لي أني في الدرس السابق، ذكرت تقسيم القنوط من رحمة الله عز وجل من جهة الحقيقة والذات، ولم أذكر تقسيم القنوط من رحمة الله من جهة الحكم، وكنت أحسب أني قد ذكرت ذلك!، ولكني على يقين أن الكلام عن هذا قد جاء في آخر الدرس، في الإجابة عن الأسئلة، لكن مادام أن الشرح هو الأصل فأشير إلى هذا التقسيم وأقول: إن القنوط من رحمة الله ينقسم من جهة حكمه إلى قسمين: **القسم الأول** : هو كفر ناقل عن ملة الإسلام، مخرج عن دين الإسلام، وذلك إذا انعدم الرجاء بالكلية، فلم يكن عند العبد رجاء أبداً، فهذا كفر يناقض الإسلام ولا يجامعه؛ لأن فيه تكذيبا لصريح الكتاب والسنة. **و القسم الثاني** : أنه من كبائر الذنوب، وذلك إذا وجد أصل الرجاء، لكن حصل القنوط، فإنه إذ ذاك يكون من كبائر الذنوب.